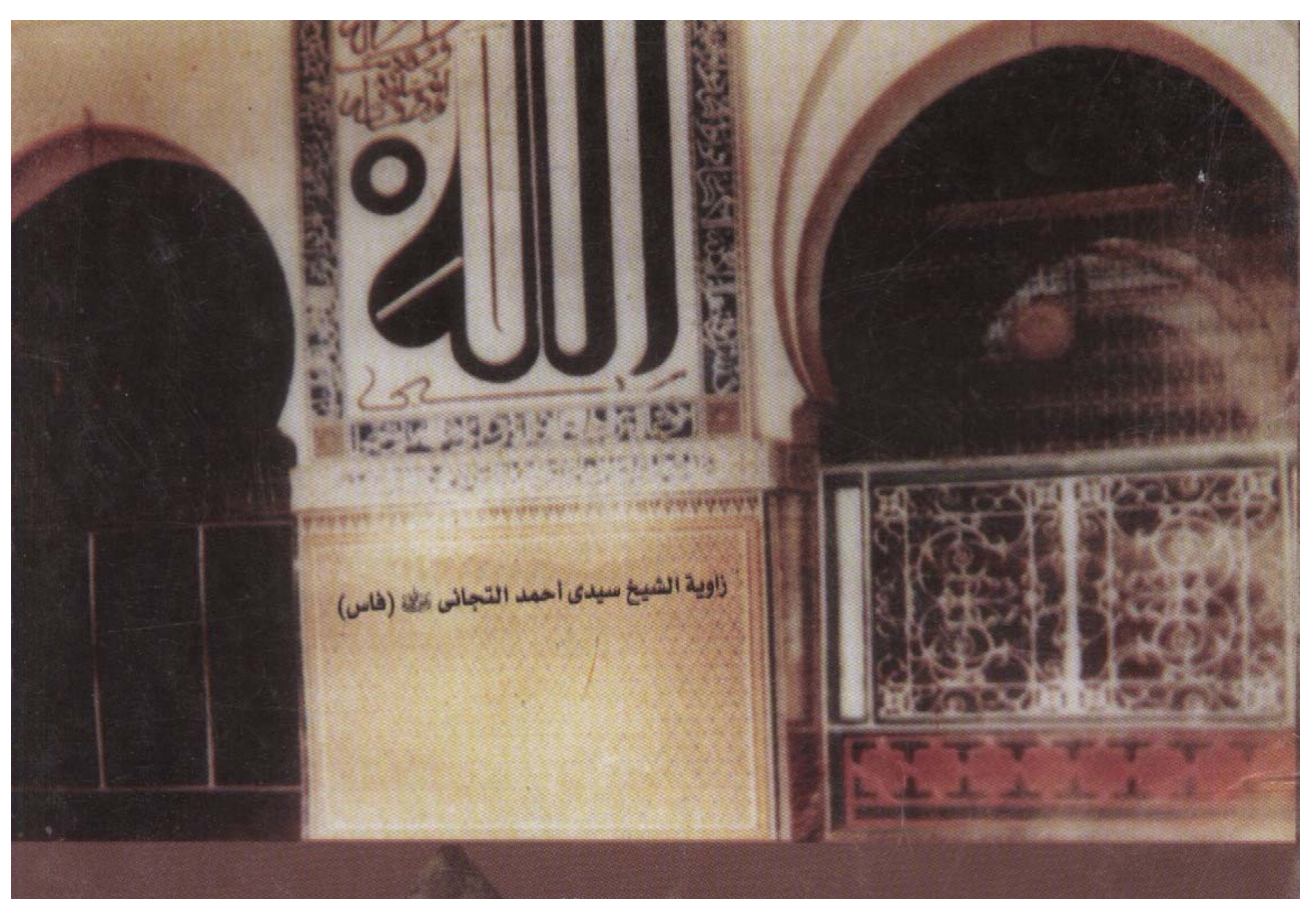


ردع المعتدى على الجناب التجانى الأحمدى

بقلم
عمر مسعود محمد التجانى
(أيده الله بتوفيقه)

ردع المعتدى
على الجناب التجانى الأحمدى

بقلم :
عمر مسعود محمد التجانى
(أيّده الله بتوفيقه)

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلا هادى له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حقّ تقاته ولا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون ﴾.

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربّكم الذى خلقكم من نفسٍ واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساءاً واتقوا الله الذى تسّاءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً ﴾.

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾.

﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبيّنوا أن تصيبوا قوماً بجهالةٍ فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾.

الأستاذ / التجانى سعيد – وهو كاتب صحفى ومؤلف أغانى مشهورة – زاد إلى شهرته في هذه الأيام أنه عالم محقق وباحث مدقق. نشر الأستاذ مقالات ثلاث في (جريدة الصحافة):

الأولى بتاريخ ٢٨ صفر والثانية في ٢٦ ربيع أول والثالثة في ٣ ربيع ثان. والمقالات الثلاث تصب جميعها في خانة الإعتراض والإنتقاض والهجوم على الطريقة التجانية – زادها الله شرفاً وظهوراً – وإن أبى ذلك المنكرون.

لقد كتبنا هذا الرد إظهاراً للحق وبياناً لوجه الحجّة وإقامة الدليل على فساد تلك الترهات والأباطيل والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

في مقاله الأول بتاريخ ٢٨ صفر نقل الأُستاذ التجانى سعيد بحرية تامّة لا تعتمّد على التحقيق العلمى ولا تستند إلي التوثيق الإكاديمى– نقل عن صحيفة فرنسية صدرت قبل سبعين سنة في أوج قوة الإستعمار الفرنسى زعماً باطلاً عن الشيخ محمد الكبير الذي لقبَّه صاحب المقال بلقب (صاحب السجادة التجانية الكبرى آنذاك) وهو مصطلح لا يعرفه التجانيون ولم يتداولوه قط فقد زعمت الصحيفة المذكورة أن الشيخ محمد الكبير رضى الله عنه قد ألقى خطبة أمام بعثة من الضباط الفرنسيين أعلن فيها تأييده للاستعمار الفرنسي وافتخر بأن أجداده قد انضموا إلي فرنسا قبل أن تحتل بلاد الجزائر وافتخر أيضاً بأن أجداده قد قاوموا أكبر عدو لفرنسا وهو الأمير عبد القادر الجزائرى وافتخر بأن عمه أحمد – صاحب السجادة التجانية يومئذ – (اللقب مرة أخرى) مهّد السبيل للجيوش الفرنسية.

ولم يفطن الأُستاذ التجانى سعيد إلي أن هذا الذي نقله هو من أصله إلي فرعه ظلمات بعضها فوق بعض وباطل مؤسس على باطل وهذه هي النتيجة الطبيعية لعدم سلوك المنهج العلمى في تحقيق الأخبار والأحداث والروايات ولو أن الأُستاذ المذكور بذل جهداً ضعيفاً في تحقيق هذه القصة لتكشف له فضوح هذه الأكذوبة أيضاً وحيث أنه لم يفعل فلنبيّن ذلك له ولغيره .

أولاً : بطلان أصل القصة :–

إن الشيخ محمد الكبير رضى الله عنه لم يخطب هذه الخطبة ولا علم له بها ولم يسمع بها بل ولم يطّلع عليها في الصحيفة الفرنسية إلا بعد أن نشرتها جريدة

الفتح المصرية في القاهرة بعد أن أرسل إليه الشيخ محمد الحافظ المصرى خطاباً يسأله عن هذه الخطبة وملابساتها فكتب إليه الشيخ محمد الكبير رضى الله عنه بأنه فوجئ بهذه المعلومة وأنه لم يسمع بهذه الخطبة المنسوبة إليه ولم يطّلع عليها لا في الصحيفة الفرنسية ولا في جريدة الفتح المصرية وأنه لم يخطب أمام بعثة من الضباط لا فرنسيين ولا غير فرنسيين وأنه لا يقرّ ما ورد في الخطبة وأوكل الشيخ محمد الحافظ المصرى أن ينوب عنه في إعلان تكذيب هذه الخطبة في جريدة الفتح وقد نشرت جريدة الفتح المصرية التكذيب ونشكرها على ذلك .

فهذا هو أصل القصة – يا أُستاذ – وقد سقط وانبتر من جذره وأصله فهى خيال في خيال لا حقيقة لها ولا وجود لها لا خارجيٌ ولا ذهنى وقد أعلن التجانيون ذلك التكذيب بقوة وارجع إن شئت إلي مجلة طريق الحق الناطق الرسمى باسم الطريقة التجانية العدد الثانى – السنة السابعة – إصدارية ١٩٥٧/٩/٤ صفحة (٢٢) وصفحة (٣٥) وارجع إن شئت إلي كتاب (الرد المستبين في دحض افتراءات محب الدين) صفحة (٢١) للعلامة الشيخ أحمد البشير ابن مفتى جمهورية السودان الشيخ الطيب هاشم والكتاب مطبوع متداول وقد نشرت مجلة طريق الحق ملخصا له في العدد السادس – السنة السابعة – إصدارية ١٩٥٧/١٢/٣١ صفحة (٢٣) وكذلك نشر تكذيب أصل هذه القصة في كتاب (الإنتصاف في رد الإنكار على الطريق) المطبوع سنة ١٩٣٢م /١٣٥٢هـ صفحة (٥١) وكذلك نشر التكذيب في مجلة جماعة الوحدة الإسلامية

الإصدارية الخامسة سنة ١٣٥٤هـ صفحة (٩٣) ... فماذا بقى من أصل هذه القصة الأكذوبة يا أُستاذ ؟ ... لقد ذهبت أدارج الرياح .

ثانيا : بطلان معلومات الخطبة المكذوبة :-

لنا أن نسأل الأُستاذ صاحب المقال من هم الأجداد الذين انضموا إلي فرنسا قبل احتلال الجزائر؟!!! سمّوهم لنا حتى يتبين الكذب ... فإن أجداده هم الشيخ محمد الحبيب والشيخ أحمد التجانى رضى الله عنهما ولا هذا ولا هذا التقى في حياته بمواطن فرنسى فضلاً عن الإنضمام إلي فرنسا ... والتاريخ المدوّن خير شاهد ... وما أفضح الكذب .

أما مقاومة أجداده للأمير عبد القادر الجزائري (أكبر عدو لفرنسا) فالتحقيق العلمى يرد هذه الأباطيل والترهات فلم يكن الأمير عبد القادر الجزائرى (أكبر عدو لفرنسا) في سنة ١٨٣٨م بل لم يكن عدواً لها أصلا وذلك لأنه قد تمّ التوقيع على معاهدة تافنه TAFNA بتاريخ ٣١ مايو ١٨٣٧ وبموجب معاهدة تافنه فقد وقفت الحرب واعترف الأمير عبد القادر الجزائرى بالإستعمار الفرنسى على الجزائر كما هو منصوص عليه في المادة الأولي من معاهدة تافنه والتزم الأمير عبد القادر الجزائري أن يقدم للجيش الفرنسى (٣٠٠٠٠) كيلة من القمح و(٣٠٠٠٠) كيلة من الشعير و(٥٠٠٠) رأس من البقر ويتمّ تسليم هذه المواد في مدينة وهران (تحت السيطرة الفرنسية) على ثلاثة مرات تبدأ من ١٨٣٧/٩/١٥م أما الباقى فبعد كل شهرين متتاليين وكل ذلك منصوص عليه في المادة السادسة .

أما المادة السابعة فتنص على أن الأمير عبد القـــادر الجزائـــري يمكنـــه أن يشترى من فرنسا البارود والأسلحة التي يحتاجها .

أما المادة التاسعة فتنص على أن فرنسا تتخلى للأمير عبد القادر الجزائـــوي عن المدافع الموجود في راشقون وفى قلعة (تلسمان) .

أما المادة الحادية عشرة فتنص على أن الجزائريين يجـــب عليـــهم إحـــترام الفرنسيين كما يتعهد الأمير عبد القادر الجزائري بتعويـــض الفرنســـيين عـــن أىّ خسارة يسببها لهم الجزائريون.

أما المادة الثانية عشرة فتنص على أن الأمير عبد القادر الجزائـــري يتعـــهد بعدم تسليم أىّ جزء من الجزائر إلي أىّ دولة أجنبية مهما كانت بـــدون إذن مـــن فرنسا .

وتمّ التوقيع على معاهدة تافنه في ٢٦/صفر ١٢٥٣هـــــ /٣١ مـــايو ١٨٣٧ وعدد المواد الواردة في المعاهدة هي خمسة عشرة مادة وقّع عليها بالقبول الأمـــير عبد القادر الجزائري والجنرال بيجو قائد القوات الفرنسية بالجزائر .

ومعاهدة تافنه وموادها متفق عليها بين جميع المؤرخين ويمكن مراجعة هـــذه المصادر :-

(١) كتاب تحفة الزائر في تاريخ الأمير عبد القادر : تأليف الأمير محـــمد بن الأمير عبد القادر الجزائري وهو يستمّد معلوماته من والـــده ومـــن كبار أصحابه الذين حضروا القتال في (عين ماضى).

(٢) تاريخ الجزائر : تأليف مجاهد مسعود الجزء الأول .

(٣) **الأمير عبد القادر الجزائري**: تأليف بسام العسلي .

وبعد توقيع معاهدة تافنه جاء الأمير عبد القادر الجزائري ليحارب أهل عين ماضي (وليس التجانيين) بأسلحة استلمها من الجيش الفرنسي حسب نص المادة (٧) والمادة (٩) من مواد معاهدة تافنه .

قال د. يحيى بوعزيز في البحث الذي نشره في (**المجلة التاريخية المغربية** – عدد ٥٥/٥٦ ديسمبر ١٩٨٩م) :

(تلقى الأمير دعماً من الفرنسيين يتمثّل في ثلاثة مدافع مما جعل كفة الحرب تميل إليه)

وانظر أيضاً كتاب : **حياة الأمير عبد القادر** : تأليف شارل هنري ترجمة د. سعد الله صفحة ١٢٩ – ١٣٢ ولم يقل الأمير عبد القادر الجزائري إنهم حاربوا سيدى محمد الحبيب رضى الله عنه لأن له علاقة بفرنسا بل إن الأمير ذكر ثمانية أسباب لقتاله له ليس فيها سبب له علاقة بفرنسا وانظر الأسباب الثمانية في البحث السابق كما ذكرها أيضاً الأمير مصطفى بن التهامي (قائد القوات المحاصرة لبلدة عين ماضى) انظر مذكراته صفحة ١٠٣.

بل إن الأمير عبد القادر الجزائري قد أرسل خطاب اعتذار لسيدى محمد الحبيب رضى الله عنه يعتذر فيه عما جرى منه وذلك بتاريخ ٢٣ ذي القعدة ١٢٥٤ هـ ونشر خطابه هذا الباحث المذكور سابقا فأين ما زعمته الصحيفة الفرنسية ؟!!! وأين ما صدقها فيه الأستاذ التجانى سعيد ؟ رحم الله من ينصف .

أما سيدى أحمد عمار رضى الله عنه فقد كان عدو فرنسا اللدود والقائم في محاربتها وتأليب الصحراء الجزائرية عليها وقاد ثورة مسلحة ضد فرنسا استمّرت لعدة سنوات ، وفى أوائل ١٨٦٩ اقتحمت الجيوش الفرنسية بقيادة الجنرال (سونيز) بلدة (عين ماضى) مقر سيدي أحمد عمار رضى الله عنه وقمعت الثوار واعتقلت سيدي عمار في مدينة الجزائر ثم نفته إلي فرنسا وظل معتقلا في فرنسا لمدة سبع سنوات ... هذه هي الخطبة المكذوبة يا أستاذ .. فانظر إليها تسقط واحدة واحدة ... ومما يدلك أوضح دلالة على بطلان هذه الخطبة المكذوبة هو أن سيدى محمود رضى الله عنه (وهو أخ سيدى محمد الكبير رضى الله عنه المنسوبة إليه الخطبة المكذوبة) كان متعاوناً تعاوناً وثيقاً مع الأمير عبد الكريم الخطابى أمير الجهاد في حرب الريف التي أرهقت الإستعمار الإسبانى والفرنسي ... وإذا كانت المعلومات في هذه الخطبة المكذوبة ثابتة صحيحة فلماذا إذن تمّ اعتقال سيدي محمد البشير رضى الله عنه (وهو والد سيدى محمد الكبير رضى الله عنه) ولماذا تمّ نفيه إلي فرنسا طوال الحرب السبعينية؟!!! ألا رحم الله من ينصف .

وفى مقاله بتاريخ ٣ ربيع ثانى حاول الأُستاذ محاولة لم يسبق إليها قرّر أن يلقى بها نظرة جوّانيّة في تفسير جزئية من حركة النشاط السياسى المعاصر في السودان وذلك عن طريق الكشف عن قيام الحركة المهدية في السودان وتدافعها مع القيادات الميرغنية وعلاقاتها مع الطريقة التجانية بل في تفسير بعض التوجهات الدولية في فكر الإمام المهدى فعمد الأُستاذ إلي البحث عن جذور هذا

التدافع وهذه التوجهات الدولية إلي التنقيب لا في معطيات الواقـــع والوقــائع فـــي السودان وفى المنطقة العربية الإسلامية آنذاك – بل في منطقة خراسان ومن قبـــل عشرة قرون وفى كتابات شيخ خراساني اسمه أبو عبد الله الترمذى في كتاب لــــه سماه (ختم الأولياء) ويرى الأُستاذ التجانى ســـعيد أن جـــذور الشـــأن السياســـى السودانى المعاصر من قيام الحركة المهدية وتدافعها مع غيرهـــا مـــن البيوتـــات الدينية يمكن التنظير له من خلال ذلك الإرث الموروث عن أبى عبد الله الـــترمذى الذي تمّ تطويره حسبما يرى الأُستاذ – على يد الشيخ محى الدين بن عربى الـــذي أعطاه (أبعاداً فلسفية معقّدة) ثم (انفتح الباب على مصراعيه أمام هـــذه العقيـــدة) وظهر المتنافسون على مقامها ويشرح الأُستاذ – من وجهة نظره – مظاهر هـــذا التنافس ثم قال :

(انظر كيف تطورت عقيدة ختم الولاية التي ظـــهرت فـــي القـــرن الثـــالث الهجرى حتى وصلت إلي حياتنا المعاصرة فـــهيمنت علـــى أوضاعنـــا السياســـية والإقتصادية وغيرها وما أقلّ من يعرف خلفية هـــذا الصـــراع مـــن الأكـــاديميين والساسة وغيرهم) .

وبدهي أن الدراسات الأكاديمية في العلوم السياسية والبحوث الإقتصادية لـــم تبلغ إلي هذا الاكتشاف وهو أن عقيدة ختم الولاية (التي ظهرت في القرن الثـــالث الهجرى) كانت لها الهيمنة على أوضاعنا السياسية والإقتصاديـــة والأكـــاديميون والساسة لا يعرفون هذا ولا يصدقونه وهو حديث خرافة ولكن يبـــدو أن الأُســـتاذ التجانى قد أُوتى علم ما لا يعلمه الناس فكان كما قال الشاعر :

وإني وإن كنت الأخير زمانه

سآتي بما لم تستطعه الأوائل

وبإلقاء نظرة تحليلية في مقال الأُستاذ المذكور نجد الآتي :

أولاً : إقرار الأُستاذ بأن عقيدة ختم الولاية ذات أبعاد فلسفية معقّدة وأنه لم يفهمها بطريقة جيّدة إلا من كتاب (أقوى الأدلة والبراهين) للشيخ الطمائي ... وكل من اطّلع على هذا الكتاب يتضح له أن الأُستاذ لم يستفد منه كثيراً في فهم عقيدة ختم الأولياء وذلك أن الشيخ الطمائي يشرح ختم الولاية في خمس مقامات ولم يفهمها الأُستاذ المذكور إلا في مقام واحد .

ثانيا : لقد زعم الأُستاذ أن التجانيين كانوا من (أكبر الطوائف) المعاصرة للمهدى وقال :

(ولهذا فقد بدأ – يعني المهدى – بمراسلة أهل مدينة فاس المغربية معقل التجانيين وعاصمتهم طالباً منهم الدخول تحت إمرته والتصديق بمهديته) ثم قال:

(والظاهر أن التجانيين لم يستجيبوا له) .

ومن الواضح أن الأُستاذ يحاول من خلال هذه المغالطات التاريخية أن يؤكد نظريته التي عدمت كل سند علمي وإلا فأين عثر الأُستاذ المذكور على الإحصائية التي بينت له أن التجانية كانوا من (أكبر الطوائف) المعاصرة للمهدى مع أن الوقائع تبيّن أن الطريقة التجانية قد انتشرت في السودان مع السيد محمد بن المختار والشيخ محمد ود دوليب وهما معاصران للمهدية فكيف يقال أن تلاميذهما صاروا من (أكبر الطوائف) ؟ !!! .

ويقدّم الأُستاذ في مغالطاته أغرب معلومة لا يؤيدها أيّ سند تاريخي وهي أن فاس في زمن المهدى كانت (معقل التجانيين وعاصمتهم) وهو كلام أقل ما يقال عنه أنه خلط بين الماضى والحاضر ... وإلا ففى أيام المهدى لم تكن فاس هي معقل التجانيين ولا عاصمتهم بل إن بلدة (عين ماضى) في الجزائر كانت هي مقر الرئاسة والخلافة العامة للطريقة التجانية .

على أن ادعاء الأُستاذ إن هذه الرسالة قد أرسلت إلي أهل فاس التجانيين هو ادعاء غير صحيح وباطل جملة وتفصيلاً فإن هذه الرسالة هي جزء من نشاط العلاقات الخارجية لدولة المهدية مع الدول الإسلامية الأخرى قال دكتور محمد إبراهيم أبو سليم في كتابه : (الحركة الفكرية في المهدية) صفحة (٢٩) :

(وفى صعيد العلاقات الخارجية بدأ المهدى يستعد للفتوحات بعد أن استيقن أنّ الأمر قد استتب له داخلياً وقد سلك في ذلك مسلك التبشير والدعوة بالتراسل فراسل خديوى مصر وأهلها وامبراطور الحبشة وأهالي مراكش وفاس ومالي وشنقيط " موريتانيا " وكان قد خاطب السنوسى في ليبيا وحياتو بن سعيد في سوكوتو)

وقد رشح المهدى كجزء من سياسته الخارجية السيد محمد الغالي (وهو شخص غير معروف) ليكون والياً على مملكة المغرب من قبل المهدية وأرسل رسالة إلي ملك المغرب الحسن الأول يعلمه بذلك كما أرسل رسالة لأهل فاس في الموضوع نفسه ولم يرد في كل هذه الرسائل اسم التجانيين ولا مرة واحدة ولم يرد اسم الطريقة التجانية أو الشيخ أحمد التجانى رضى الله عنه ولا

مرة واحدة... فكيف يحاول الأستاذ التنظير لأمر لا حقيقة له وليس له سند توثيقى أو تاريخى .

والحقيقة التي لم يعرفها الأستاذ أن سبب هذه الرسائل كلها هي حيلة نسجها الطيب البنانى وعبد الخالق السبتى وهما مغربيان كانا يقيمان في مصر ويبدو أنهما كان قد دخلا السودان فلما اشتعلت الثورة المهدية وسقطت الخرطوم في قبضة المهدى أصبح السودان مقفولاً لدولة المهدية ولا يمكن الهروب والخروج منه فاحتال هذان المغربيان بهذه الحيلة للخروج من السودان والهروب منه فأعلنا للمهدى أن أهل فاس يؤيدون الحركة المهدية ويطلبون تولية والٍ عليهم فكتب لهم المهدى هذه الرسائل حتى يتوجهوا بها إلي المغرب وبذلك يكونوا قد تمكّنوا من الخروج من السودان دون أن يتعرض لهم أنصار المهدى وقد اعترف الطيب البنانى بهذه الحيلة للأستاذ نعوم شقير (انظر تاريخ السودان صفحة ٥٩٧).

ويبدو أن الخليفة عبد الله التعايشى قد فطن إلي حيلة هذا الشخص المغربي فأرسل خلفه من يقبضه فتمّ اعتقاله وهو في بربر في طريقه للخروج من السودان وأعيد إلي أم درمان وبقى محبوساً فيها إلي سنة ١٨٩٨ حين أطلق سراحه بعد سقوط المهدية .

<u>ثالثا</u> : زعم الأستاذ أن الفكرتين (المهدية والختمية) قد تحولتا إلي (حزبين سياسيين يتقاسمان الساحة السودانية) وزعم أيضاً أن المهدى كان قد أرسل إلي السيد محمد عثمان (الختم) يدعوه إلي الدخول تحت إمرته ولكن السيد محمد عثمان رفض (لأن مجرد قبوله لفكرة المهدية يعني تراجعه الشخصي

ونكوصه عن فكرة الختمية التي يؤمن بها فالفكرتان لا تحتمّلان في المقـــام غـير رجل واحد) .

ولكن مغالطات الأُستاذ تتكشف بمعرفة التواريخ لقد كــان عمــر المــهدى ٨ سنوات يوم مات السيد محمد عثمان الختم وذلك لأنه توفى فــي ٢ مــايو ١٨٥٢ وولد المهدى في أغسطس ١٨٤٤ وأعلن دعوته في سنة ١٨٨١ أىْ بعد ٢٩ ســنة من وفاة السيد محمد عثمان الختم .

كما أن ادعاء الأُستاذ المذكور أن السيد محمد عثمان الختم – على فرض أنــه كان معاصراً للمهدى – رفض اتباع المهدى (لأن الفكرتين لا تحتمّلان في المقــام غير رجل واحد) هو ادعاء تأباه أدبيات فكرة ختم الولاية عند الســادة الميرغنيــة التي تصرّح بأوضح عبارة بأن مقام المهدى أعلى وأكبر من مقام الختم كمــا هــو منصوص عليه في كتاب (الإبانة النورية) للخليفــة أحمــد الرباطــابى صفحــة (١٦٣ – ١٦٦) .

وإذا رجعنا إلي مقاله بتاريخ ٢٨ صفر نجد أن الأُستاذ المذكــور لــم يكــن موفقاً حين ذكر بعض الإعتراضات على الطريقــة التجانيــة وشــيخها وســمّاها (الإعتراضات المؤسسة والقوية) ويمكن تقسيم هذه الإعتراضات إلي نوعين النــوع الأول : كذب محض وبهت بحت ، الطريقة وشيخها بريئون منه والله حسيب مــن اختلقه وسيعلم الذين ظلموا أىّ منقلب ينقلبون . والنوع الثانى : فهم سيئ ومــردود لأمور وردت في كتب الطريقة .

ولا نستطيع أن نلوم الشخص الذي لم يعطه الله القدرة على فهم الأمور على وجهها الصحيح .. فهذا أقصى ما عنده من القدرة على الفهم ... ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها ... غير أنه يجب عليه أن يكون منصفاً ويسلم الأمر للذين آتاهم الله الفهم على الوجه الصحيح ... ولذلك فسوف نعرض عن هذا النوع من الإعتراض ونركز على ما هو كذب من أصله وبهتان بحت ومنه تعرف مدى (التأسيس والقوة) المزعومة عند الأستاذ المذكور .

قال في أول اعتراض له :

(قول الشيخ التجانى أنه تلقى ورده من النبى صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناماً وأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعط هذا الورد لأحد من أصحابه ولم يبيّنه لهم لأنه علم بتأخير وقته وعدم وجود من يظهره الله على يديه في ذلك الوقت)

أقول : إن التلقى عن النبى صلى الله عليه وسلم في اليقظة أمر يؤمن به الأستاذ ففي مقاله الثانى في جريدة الصحافة ٢٦ ربيع أول يؤكد صحة اجتمّاع الأولياء بالنبى صلى الله عليه وسلم في اليقظة أما باقى الكلام الذي نسبه للشيخ التجانى رضى الله عنه فهو كذب لم يقله الشيخ رضى الله عنه ولا أحد من أصحابه وليس هو في أيّ كتاب من كتب الطريقة مطلقاً ... وإننا نطلب من الأستاذ أن يُعيّن لنا موضعه من كتب الطريقة ... وأرجو أن لا تختلط عليه الأمور بين فضل صلاة الفاتح وبين الورد (الذي لم يعطه النبي صلى الله عليه وسلم لأحد من أصحابه ولم يبينه لهم) ... وما هو الورد ... الإستغفار

والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بأىٍّ صيغة كانت (صلاة الفاتح أو غيرها) ولا إله إلا الله ... فهل هذا لم يُبيّنه النبى صلى الله عليه وسلم لأحد من أصحابه ؟!!! ... أليس للناس عقول يفكرون بها ؟!!! .

ولكن المعترض الذي يختلق الكذب له هدف وهو أن يتّهم الشيخ التجانى رضى الله عنه بأنه يعتقد أن النبي صلى الله عليه وسلم كتم ما أُمر بتبليغه ولم يُبيّن للأمة ما تحتاجه ... وفى غمرة استعجاله لإلزاق الاتهامات الكاذبة بالشيخ التجانى رضى الله عنه فقد غفل عن قول الشيخ التجانى رضى الله عنه لما سئل – كما في جواهر المعانى صفحة (٢٠٧/١) :

(قيل له هل يطرأ النسيان على الرسل قبل تبليغ ما أُمروا به كما طرأ بعد التبليغ قال : لا ولو نسى شيئا ممّا أُمر بتبليغه للخلق لبعث الله إليه الملك وذكّره به ليتمّ الدين الذي أراده سبحانه وتعالي لأنه هو الحافظ له حتى يكمل ما أراد من شرعه) .

أما ما ذكره الأُستاذ عن ثورة علماء مدينة توات ضد الشيخ التجانى رضى الله عنه وانتقاله إلي فاس بالمغرب فيبدو أن الأُستاذ يتخيّل أشياء ويصدّق ما يتخيّل وإلا فإن سبب خروجه رضى الله عنه هو اعتراضه على تقديم القوانين الوضعية على القوانين الشرعية في ديوان الحكم الجزائرى كما هو مذكور في كتاب (طبقات المالكية) للعلامة الشيخ محمد بن مخلوف (وهو ليس تجانى) وذكر ذلك أيضاً د. يحيى بوعزيز في البحث المنشور في المجلة التاريخية المغربية عدد ٥٥/٥٦ شهر ١٩٨٩/١٢ وأصل القصة مذكور في كتاب الإفادة

الأحمدية (صفحة ٨٧) وليس في علماء توات مـن يرضـى بإبطـال الأحكـام الشرعية واستبدالها بقوانين وضعية ... فهذه ثورة لا وجود لـها إلا فـي خيـال الأستاذ .

ومما يدلك على أن الأستاذ غير ماهر في كتب الطريقة هو ما وقع فيـه مـن خلط وخبط ولنضرب على ذلك أمثلة ...

أولاً : إن كتاب جناية المنتسب للشيخ أحمد سكيرج ليـس هـو رد علـى كتاب مشتهى الخارف ... وهذا يدل على أن الأستاذ لم يطّلع على هـذا الكتـاب أصلاً .

ثانياً : إن كتاب (كفاية العانى لرد المعترض على العارف التجانى) أحمـد ابن إسماعيل الولى الكردفانى ... فهذا ليس من كتب التجانية كما زعم الأسـتاذ وإنما هو من كتب الطريقة الإسماعيلية التـي أسسـها الشـيخ إسـماعيل الولـى (والد مؤلف الكتاب وتلميذ الشيخ محمد عثمان الختم كما هو مذكور فـي كتـاب الإبانة النورية للشيخ الرباطابى) .

في مقاله بجريدة الصحافة ٢٦ ربيع أول تكلم الأستاذ التجانى سـعيد عـن رؤية النبى صلى الله عليه وسلم في المنام واليقظة وهو يؤمن بأن كل ذلـك حـق ويقول :

(إن العلماء كانوا يتعاملون مع المنام النبوى كاليقظة).

واستدل على ذلك بحكايات وروايات ثم قال :

(هذا وأمثاله كثير في كتب التاريخ والتراجم وهو حق وتؤيّده النصـــوص الشرعية).

ثم طرح الأُستاذ المذكور السؤال المهم الذي يقول عنـــه : (لا شـــك أن الإجابة عليه ستضع حدّاً لتلك الفوضى التي أحدثها بعض جهلة المتصوفـــة الذيـــن دخلوا من باب رؤيا صلى الله عليه وسلم في المنام واليقظة فكذبوا بما لم يقلـــه ولا يُتصورّ أن يقوله مستغلين في ذلك قوة اليقين الغيبى عند العامـــة ليـــأكلوا أمـــوال الناس بالباطل والسؤال هو : ما هي الضوابط التي تحكم رؤيا النبـــي صلـــى الله عليه وسلم في المنام واليقظة ؟ بعبارة أخرى كيف نميّز بين كذب الـــذي يدّعـــى رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم وصدقه ؟) .

ثم إن الأُستاذ المذكور قدّم مقترحاً لهذه الضوابط يشمل الآتى :

أولاً : أَن لا يكون في الرؤيا تشريع جديد وإلا كان معنى هـــذا أن الديـــن جاء ناقصاً أو أن النبى صلى الله عليه وسلم كتم ما أُمر بتبليغه.

ثانيا : إن ما يراه الرائى يلزمه وحده ولا يلزم الأُمة .

ثالثا : عدم إظهار الرؤيا للناس وجعل تصديقها فرضاً عليهم .

ومع تقرير الأُستاذ التجانى سعيد لهذه الضوابط إلا أنه خالفها في المقال نفســه ولنستعرض ما ذكره مسئلة مسئلة .

أولاً : إحراق أسطول الدولة الإسلامية

قال الأُستاذ :

(إن طارق بن زياد رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ليلة وصوله بالجيش لشاطئ الأندلس فبشّره بالنصر فأحرق طارق السفن خلفه اعتماداً على صدق الرؤيا ولولا ذلك لما جاز له أن يحرق السفن لاحتمال هزيمة المسلمين واضطرارهم للانسحاب وتحيُّزهم إلي فئة أخرى) .

وهذه – حسب رواية الأُستاذ – رؤيا نبوية منامية أظهرها طارق بن زياد للناس وفرض عليهم تصديقها وألزمهم بها بدليل أنه أحرق أُسطول الدولة الإسلامية (اعتماداً على صدق الرؤيا ولولا ذلك لما جاز له أن يحرق السفن).

ونحن نسأل الأُستاذ التجانى سعيد هل يجوز في شرع الله أن تحرق الممتلكات الحربية للدولة اعتماداً على رؤيا منام فقط؟!!! ثم أليس هذا هدم للضوابط التي اقترحها الأُستاذ ؟.

ثانيا : إمرأة أرسلها الرسول صلى الله عليه وسلم في رؤيا منامية برسالة إلي الناس فخافت أن لا يصدقوها فجعل لها علامة صدقها أن وضع كفّه على حائط مسجد بنى فلان فانطبع أثره في الحائط فكان ذلك آية صدقها ولزم الناس تصديق الرسالة التي جاءت بها من عند النبي صلى الله عليه وسلم في رؤيا منامية فهل هذا يتفق مع الضوابط التي اقترحها الأُستاذ ؟ .

ثالثاً: تضعيف رواة الحديث وجرح رواياتهم فقد حكى الأُستاذ عن أحد علماء الحديث أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم وقد أنكر روايات راوٍ

اسمه (أبان) فلم تصح من ألف حديث نبوى إلا خمسة أحاديث أو ستة كما بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في رؤيا منامية فهل يتفق هذا مع الضوابط التي اقترحها الأُستاذ ؟ .

رابعاً : حكايته عن شيخ الإسلام ابن تيمية أنه يتلقّى الوجه الحق في المسائل الشرعية من رؤياه النبى صلى الله عليه وسلم في المنام وذكر الأُستاذ من ذلك مسألة الصلاة على الجنائز فهل هذا يتفق مع الضوابط التي اقترحها الأُستاذ ؟ .

خامساً : المسائل الفقهية التي كان يعرضها الإمام ابن أبى جمرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في رؤيا المنام وجمعها في كتاب خاص سمّاه (المرائى الحسان) فهل هذه المسائل الفقهية ملزمة للأُمَّة ؟ وهل هذا يتفق مع الضوابط التي اقترحها الأُستاذ ؟ .

ثم تمادى الأُستاذ صاحب المقال فجعل قول النبى صلى الله عليه وسلم في المنام في المسائل الغامضة من حديث وفقه وعقائد هو القول الفصل... وبهذا يكون الأُستاذ قد هدم ضوابطه بالكلية ... بل بالغ حتى جعل العقائد تثبت بالمنامات فضلاً عن الأحاديث والفقهيات قال الأُستاذ :

(تعامل العلماء مع المنامات النبوية تعاملهم مع النبى صلى الله عليه وسلم في اليقظة فكلما أخبرهم به النبى صلى الله عليه وسلم في المنام أخذوه مأخذ الحقيقة الواقعة وقد كانوا كثيراً ما يسألون النبى صلى الله عليه وسلم في المنام

عن المسائل الغامضة التي تواجههم في الحديث والفقه والعقائد فيجيبهم على ما يسألونه فيعدّون إجابته قولاً فصلاً في المسئلة) .

سادساً : **حكاية الرجل الذي عثر على كنز** كان النبى صلى الله عليه وسلم أخبره في المنام بمكانه وأمره باستخراجه وأخبره أنه لا خمس عليه فأمره الإمام العلامة العز بن عبد السلام بإخراج زكاته وهو الخمس ولم يلتفت إلي ما حكاه الرجل في الرؤيا النبوية وقال (ليس لنا أن نعطّل الشريعة بالمنامات) .

ومع أن هذه القصة تتفق مع الضوابط التي ذكرها الأُستاذ إلا أن طامة الطامات هو تعليق الأُستاذ عليها بما يعتبر هدماً للضوابط كلها التي اقترحها بنفسه بل يعتبر هدماً للشريعة الإسلامية في حق الفرد المسلم ... فماذا قال الأُستاذ ؟ لقد وصف العز بن عبد السلام بأنه (لما تعارض عنده المنام مع الشريعة قدم الشريعة على المنام) .

ومع إقرار الأُستاذ بأن هذا المنام متعارض مع الشريعة إلا أنه كوّن رأياً يختلف تماماً عن رأى الشيخ العز بن عبد السلام ومجمل هذا الرأى هو أن ذلك الرجل لو لم يخرج الخمس (وهو زكاة الكنز في الشريعة) لكان ذلك جائزاً له بشرط أن لا يخبر أولى الأمر باكتشاف الكنز ويكون هذا (التشريع الجديد) الذي مصدره منام خصوصية لهذا الرجل دون سائر الأمة وهذه طامة من الطامات جاء بها الأُستاذ التجاني سعيد لا يوافقه عليها عالم متحقق بشرع الله .

لقد احتج الأُستاذ المذكور لهذا الرأى الذي يأباه الشرع فقال :

(معلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخصّ بعض أصحابه بأشـــياء لا يشاركه فيها غيره كتخصيصه حذيفة بمعرفة المنافقين وأبى بكر بفتح خوخته فـــي المسجد وأبى بردة بن نيار بذبح الأُضحية وغيرهم فلا يبعد أن يخصّ أحـــداً مـــن المسلمين في المنام بشئ دون أن يغيّر ذلك من حكم الشريعة شيئاً وهـــذه المســـالة تحتاج إلي فهم دقيق).

وبناءً على هذا الفهم الدقيق فيجوز لكل من رأى مناماً نبوياً ظاهره مخـــالف للشريعة فله أن يعمل به في خاصـــة نفســـه فيخـــالف شـــرع الله المقـــرّر علـــى الأُمة - التي هو فرد من أفرادها - فيستحل الحرام اعتقاداً منه أن هذا خاصاً بـــه فقط؟!!! وأيُّ باطل أبطل من هذا ؟!!! وأيُّ هـــدم للديـــن أقبـــح مـــن هـــذا ؟!!! وأيُّ فوضى سوف تحدث في شريعة الأُمة سمحنا بمثل هذا ؟!!! ... لا ياأُســـتاذ ... ليس لأحد في خاصة نفسه أن يخالف شرع الله الثابت الصحيح... ومن دعـــا إلي ذلك فقد دعا إلي كفر بواح .

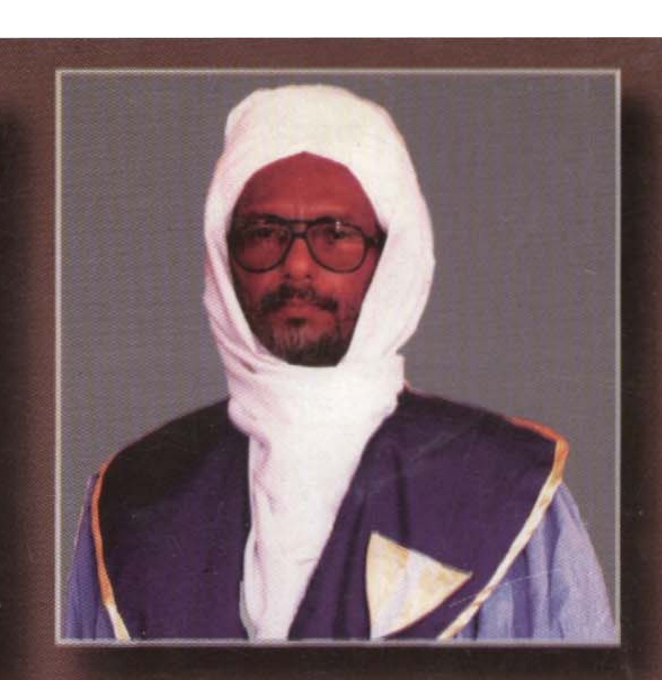
وأخيراً يقول الأُستاذ :

(ليس في نصوص الشريعة الإسلامية علي كثرتها نص واحد يلـــزم النـــاس بتصديق رؤيا الآخرين).

ونحن نقول : وأين النص أو النصوص التي تلزمك بتكذيبهم ؟... يا أُســـتاذ أنت لم تفهم المسألة على وجهها فاسمح لنا بشرحها لك :

إن القاعدة التي سار عليها المحققون من العلماء أن العدل إذا أخبر بأمر جـــائز فلا وجه لتكذيبه أما وجوب تصديقه فلم يقل بذلك أحد - هذا إذا كان الخبر عن أمـــر

جائز في نفسه أما إذا أخبر العدل عن أمر غير جائز في نفسه مثل منام فيه جــواز مخالفة الشريعة مثلا فإنه لا يجوز لنا تصديقه في جواز مخالفة الشريعة ولا يجــب علينا تكذيبه في ما أخبر به عن منامه لأن التكذيب جرح وقد ثبت عندنــا بوجــوه الإثبات أن المخبر عدل فكيف يكون عدلاً ونحن نجرح عدالته بتكذيبه؟!!! فعند ذلـك فقط نقول – يا أُستاذ – كما قلت في مقالك : (قد يكون واهماً أو غافلاً أو غـــير حافظ لما جرى له وقد يكون في إحدى تلك الحالات التي تعترى العابدين من شــطحٍ أو وجدٍ أو سكرٍ فيقول فيها ما لا يؤاخذ عليه) .



كتب مطبوعة للمؤلف :-

١– العارف الرباني الشيخ يوسف بقوي التجاني .
٢– مذاكرة فى حديث وفد عبد القيس .
٣– الرد على الأفريقى دفاعاً عن الطريقة التجانية .
٤– التجانية وخصومهم والقول الحق .
٥– الرد على الفئة الطاعنة فى الآداب المائة .
٦– إطفاء القنديل وبيان ما فيه من الكذب والتبديل .
٧– ردع المعتدى على الجناب التجانى الأحمدى .
٨– الذكرى السنوية العاشرة للشيخ يوسف بقوى التجانى .
٩– دفاع عن التجانيين فى تعليقات على رأس القلم .

كتب تحت الطبع :-

١– موثوقية مصادر دراسة الشخصية الصوفية .
٢– الرد على الطنطاوى دفاعاً عن الطريقة التجانية .
٣– بذل الوسع فى الجواب على المسائل التسع .
٤– الجهاد فى سبيل الله روح التصوف الإسلامى .
٥– أخطاء الألبانى وأوهامه في كتاب التوسل أنواعه وأحكامه .
٦– زيتونة الأنوار .
٧– رؤية النبى صلى الله عليه وسلم فى اليقظة : شبهات وردود .

كتب تحت التأليف :-

١– دراسة تمهيدية فى كتاب جواهر المعانى .
٢– مراتب التجهيل واحكامها عند المحدثين .
٣– الكيل والتطفيف فى الجرح والتعديل والتصحيح والتضعيف
٤– الزيادة على الإفادة لمريد السعادة .
٥– هشيم المحتظر من عجالة المنتظر .
٦– بذل المجهود فى بيان قاعدة أهل الكشف والشهود .